قراءة في ومضة "مع سبق الإصرار" لأسماء عطة

بسّام جميدة، سوريا

مع سبق الإصرار

خطوات لا مبالية. بدن يصارع الموت ببوابة مستشفى حكومي. يهمس أحدهم أنه لا يحوز أوراقا ثبوتية.

دراما حزينة تصورها لنا الكاتبة المغربية أسماء عطة في ومضتها (مع سبق الإصرار) وتُظهر فيها مدى القهر والبيروقراطية التي تتجسد في حياة المواطن العادي كل يوم، في حالة من عدم اللامبالاة بالإنسانية التي تعشعش في أذهان البعض، وتتجسد بأبشع حالاتها ضمن المشافي التي تحولت غالبيتها من مهنة إنسانية إلى تجارة رابحة وبنفس الوقت خاسرة للقيم والمثل التي يحتاجها المجتمع الراقي.

منذ البداية ومن خلال قراءة العنوان (مع سبق الإصرار) يمكنك أن تلحظ أن هناك شيئا قد تم عن عمد، وثمة جريمة قد حدثت أو فعل قد أرتكب، وبدافع ينم عن تصميم وإرادة واضحة، حيث يكشف عن تفاصيل النص المخفية بطريقة سهلة.

الومضة تبدأ بفتح الكاميرا على الحدث بلقطة معبرة جدا وعلى اتساع العدسة ومن مكان عال حيث الرواح والمجيء ضمن المشفى الذي عادة ما

يكون مكتظا بالناس، ومن المفترض ألا تكون الخطوات هكذا، بل يكون هناك قلق وسرعة وفعل ورد فعل، ومن هنا تبدأ الحكاية بفصولها السريعة، حيث تنتقل كاميرا الكاتبة لتلتقط صورة (زوم) لجسم ملقى على بوابة المشفى، تعلو وتهبط أنفاسه من جراء حالة خطرة يمر بها، ولا أحد يبالي به، تنتقل الكاميرا بدورانها السريع لتأخذ من زاوية أخرى صورة لفم رجل يقترب من أذن زميله ليقول له سر الحالة وسبب الإهمال.. وما بين هذه التفاصيل التي ينقلها الراوي بحيادية دون أي تدخل، نلحظ برودة المشاعر، إزاء حالة حرجة لشخص يحتضر.

وحيث تكثر حالات الإسعاف والمعالجات والعمليات في المشافي يتراءى لنا وجود رتابة وعمل روتيني مستمر، وقد لا يأبه للموت أحد، أو لإصابة بليغة، أو لمريض ينازع الحياة، وتتصلب المشاعر فالخطوات اللامبالية والذهاب والمجيء ينم عن ذلك، وتقتضيه مصالح العمل، ولكن يصبح الأمر غير مستساغ لمن هم من خارج الكادر العامل في المشفى عندما لا يكون هناك اهتمام بمريض ملقى هنا أو هناك، ولكن الأمر يصبح أكثر فجاعة عندما يمتنع المشفى عن العلاج لسبب ما مثل عدم حيازته على أوراق ثبوتية أو مال لتسديد الفاتورة ..حيث يجب العلاج أولا ومن ثم الإجابة على كل التساؤلات.

الجملة الأخيرة في النص هي التي تفتح باب التساؤلات في الومضة، لماذا لايحمل أوراقا ثبوتية؟ وكلنا يعرف أن أي شخص يسير في الشارع لابد أن يحمل على الأقل هويته الشخصية أو شهادة سواقة ، وإن كان حضر إلى المشفى بالبيجاما مثلا لابد أن يكون أحد من أهله يرافقه، ولو كان وجد ملقى في مكان ما وتم تجريده من كل ما يثبت شخصيته فهنا تكون ثمة جريمة والموضوع يستدعي منحى آخر لم تتضمنه الومضة.

غياب الأوراق الثبوتية يحدث جدلاً، ولو تطرقت الكاتبة إلى عدم حيازة البدن المرمي في المشفى على المال لأدركنا أنه قد يكون فقيراً ليس له أهل أو أصدقاء، والهمس الذي جاء خافتا من أحدهم لا يشي أنه من العاملين في المشفى لأن إدارة المشافي لا تتعامل مع هذا الموضوع بالهمس، فلابد من توثيق الحدث بضبط قانوني واستدعاء الشرطة في هذه الحالة المريبة.

الومضة تحمل رؤيا بوليسية وجريمة متعمدة، وفيها تراكيب وكلمات تخلط المعاني فيضيع التفسير الحقيقي لها.

في المجمل الومضة تبرز فداحة السلوك الروتيني في بعض البلدان العربية، فربما كان الرجل مريضا جدا وخرج بدون أوراق هويته ولم تستقبله المستشفى لعدم وجود هويته معه، والأصل أن تعالجه - ومن الواضح أنها مستشفى حكومية وليست خاصة، فالموضوع هنا ليست له

علاقة بالمال - ثم بعد ذلك تتصل بأهله مثلا للحصول على هويته. كل التفاصيل واردة لحالة الإهمال التي تبدو هنا من خلال براعة الكاتبة في التقاط الحدث بعين بصيرة.